الدرس السادس والعشرون

شبهات وحلول

- ما هو مدى استحقاق المعصوم للثواب؟
- لماذا كان المعْصومون يعترفون بالذنوب؟
- كيف يتلاءم تأثير الشيطان في الأنبياء مع عصمتهم؟
- نسبة العصيان والنسيان لآدم (ع).
- نسبة الكذب لبعض الأنبيْاء.
- قتل موسى للقبطي.
- توجيه الله النهي للنبيِّ (ص) عن الشكِّ في رسالته.

حلُّ عدّة شبهات

طُرحت بعض الشبهات حول عصمة الأنبياء (ع) نستعرضها في ما يلي ونجيب عنها:

الشبهة الأولى: إذا كان الله تعالى قد عصم الأنبياء ونزَّههُم عن المعاصي، فيلزم من ذلك أنه ضَمن ممارستهم للوظائف والتكاليف، وتعهَّد بعدم انحرافهم أبداً وبذلك سوف لا تثبت لهم أيَّة ميزة اختياريَّة، ولا يستحقُّون أيَّ ثواب لممارستهم الوظائف والتكاليف، والاجتناب عن المعاصي، لأنَّ الله تعالى لو جعل أيَّ شخص آخر معصوماً لكان مثلهم تماماً.

الجواب عن هذه الشبهة: يتوضَّح الجواب ممّا ذكرناه سابقاً وخلاصته؛ انَّ العصمة لا تعني الجبر على القيام بالوظائف والتكاليف وترك المعاصي ـ كما مرَّ في الدرس السابق ـ وحين نقول إن الله عاصم المعصومين وحافظهم، فلا نعني بذلك سلب الأفعال الاختياريَّة منهم، ذلك لأنَّ كلَّ الظواهر ـ وان استندت في نهاية سلسلتها الى الارادة التكوينيَّة الإلٰهيَّة كما وضحناه في بحوث التوحيد ـ فانَّه توجد في هذا المجال بالذات عناية وتوفيق خاصٌّ من قبل الله، لذلك يتأكَّد أكثر إسناد العمل لله في موضوع بحثنا، ولكنَّ الإرادة الإلٰهيَّة في طول إرادة الانسان لا في عرضها، وليست بديلة عنها وقائمة مقامها.

ولكنَّ هذه العناية الإلٰهيَّة الخاصَّة بالنسبة للمعصومين هي كسائر الوسائل والظروف والامكانات الخاصَّة الَّتي توفَّر لبعض الأفراد، ممّا يؤدّي الى ان تكون مسؤوليَّتهم أكبر، وكما أنَّ الثواب على عملهم أكثر فانَّ العقاب على المخالفة أشدُّ، وبهذا الشكل يتمُّ التوازن بين الثواب والعقاب، وان كان

المعصوم لحسن اختياره لا يكون مستحقاً للعقاب، ويلاحظ مثل هذا التوازن في حالة كلّ الّذين يتمتّعون بنعمة خاصّة، كما هو الحال بالنسبة للعلماء والمنتسبين لأهل البيت (ع)[1]، فإنّ مسؤوليّتهم أكبر وأكثر خطورة من غيرهم، وكما أنّ الثواب على اعمالهم الخيّرة أكثر، فكذلك العقاب على ذنوبهم ـ على تقدير ارتكابها ـ أشدّ[2]، ومن هنا فكلّ من كان مقامه المعنويّ أرفع كان خطر سقوطه اكثر، وخوفه من الانزلاق أشدّ.

الشبهة الثانية: إنّ الأنبياء وسائر المعصومين (ع) يعتبرون أنفسهم من المذنبين، كما يُنقل عن أدعيتهم ومناجاتهم، وينقل ـ أيضاً ـ استغفارهم من الذنوب، ومع صدور مثل هذا الاعتراف الإقرار منهم، فكيف نعدُّهم معصومين؟

والجواب: إنّ المعصومين (ع) قد ارتفعوا الى أسمى درجات الكمال والقرب الإلهيّ ـ مع ملاحظة اختلاف مراتبهم ـ لذلك يشعرون بأنّهم مكلفون بوظائف ومهامّ تفوق وظائف الآخرين، بل إنّهم يَعتبرون أيَّ توجُّه والتفات منهم لغير معبودهم ومحبوبهم ذنباً كبيراً، ومن هنا يقفون موقف الاستغفار والاعتذار. وقد ذكرنا سابقاً أن عصمة الأنبياء لا تعني أن يكون المعصوم منزّهاً عن كلّ عمل يُطلَق عليه (معصية) بوجه ما، ولو بمفهومها الواسع، بل إنّما تعني تنزيهه عن مخالفة التكاليف الإلزامية، وعن ارتكاب المحرمات الفقهية لا كلّ ما يُطلَق عليه معصية.

الشبهة الثالثة: ذكرت بعض الآيات القرآنية الدالّة على عصمة الأنبياء أنّهم يُعتبرون من (المخلَصين)، ولا يطمع الشيطان فيهم، مع أنّ القرآن الكريم نفسه يذكر بعض تصرُّفات وتأثيرات الشيطان في الأنبياء (ع)، منها ما ورد في الآية (٢٧) من سورة الاعراف:

---

(١) يقول القرآن الكريم في ذلك «يا نساء النّبيّ لَستُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ...» (الاحزاب/٣٢)

(٢) كما ذُكِر ذلك في الرواية التالية (**يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغفر للعالم ذنب واحد**).

﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يفتِنَنَّكُم الشيطانُ كَمَا أخرَجَ أبَوَيكُم مِنَ الجَنَّة﴾.

حيث تنسب للشيطان خداعه لآدم وحوّاء، والذي أدّى الى خروجهما من الجنّة، وفي الآية (٤١) من سورة (ص) على لسان أيّوب:

﴿إذ نَادَى رَبَّهُ أنّي مَسَّنِيَ الشَّيطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

وفي الآية (٥٢) من سورة الحج:

﴿وَمَا أرسَلْنَا مِن قَبلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إلاّ إذا تَمَنّى ألقَى الشَّيطانُ في أُمنِيَّتِهِ﴾.

حيث نسبت نوعاً من الوساوس الشيطانيّة لجميع الأنبياء.

والجواب: لم يُلحظ في هذهِ الآيات أيُّ تصرف أو تأثير شيطانيٌّ ادى الى مخالفة الأنبياء (ع) للتكاليف الإلزاميّة، أمّا الآية (٢٧) من سورة الأعراف، فتشير الى وسوسة الشيطان لآدم وحوّاء للأكل من (الشجرة المنهيّة) فإنّه لم يتعلّق نهي تكليفيٌّ بالأكل، بل الوارد فحسب هو تذكير آدم وحواء وتنبيههما على أنّ الاكل منها سيؤدّي الى الخروج من (الجنّة) والهبوط الى (الأرض)، وأنّ وسوسة الشيطان سببّت مخالفتهما لهذا النهي الارشادي، والملاحظ أنّ ذلك العالم ليس عالم التكليف، ولم تنزل شريعة بعد، وأمّا الآية (٤١) من سورة (ص) فإنّها تشير الى المتاعب والتحدّيات التي توجّهت لأيّوب (ع) من قبل الشيطان، وليس فيها أيّة دلالة على مخالفته للأوامر والنواهي الإلٰهيّة، وأمّا الآية (٥٢) من سورة الحج فهي مرتبطة بالعراقيل التي يواجه بها الشيطان نشاطات الأنبياء (ع) جميعاً وجهودهم، والعقبات التي يضعها في سبيل وصولهم الى أهدافهم في مجال هداية الناس، وأخيراً فانّ الله تعالى يبطل مكر الشيطان وحيله، ويثبّت الدين الحقّ.

الشبهة الرابعة: في الآية (١٢١) من سورة طه، نُسب العصيان لآدم (ع)، وفي الآية (١١٥) من السورة نفسها نُسب النسيان له (ع)، فكيف تتلاءم مثل هذه النسب مع العصمة؟.

والجواب عن هذه الشبهة: قد اتضح من الحديث السابق، حيث عُلم أن المعصية والنسيان لم يكونا مرتبطين بالتكليف الإلزامي.

الشبهة الخامسة: نُسب الكذب في القرآن الكريم لبعض الأنبياء، ومن الآيات التي تدلُّ على ذلك، الآية (٨٩) من سورة الصافّات نقلاً عن ابراهيم (ع):

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

مع أنَّه لم يكن مريضاً، والآية (٦٣) من سورة الانبياء نقلاً عنه أيضاً:

﴿قال بل فَعَلَهُ كبيرُهُم هذا﴾.

مع أنَّه هو الذي حطَّم أصنامهم، والآية (٧٠) من سورة يوسف:

﴿ثمَّ أذّن مُؤذِّنٌ أيتُها العِيرُ إنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾

مع أنَّ إخوة يوسف لم يرتكبوا السرقة.

والجواب: إنَّ هذه الأقوال انَّما صدرت من باب التورية (إرادة معنًى آخر) لأجل بعض المصالح الأكثر أهمِّية كما أشيرَ الى ذلك في بعض الروايات، ويمكن أن يُستظهر من بعض الآيات أنَّ هذه الأقوال كانت بإلهام إلهي، كما في قصَّة يوسف حيث يقول تعالى ﴿كَذلِك كِدنَا لِيُوسُفَ﴾، وعلى أيِّ حال فلا يُعتبر مثل هذا الكذب معصية، ولا يخالف العصمة.

الشبهة السادسة: ورد في قصة موسى (ع) أن قبطيّاً تشاجر مع رجل من بني اسرائيل، فقتله موسى (ع)، ولأجل ذلك هرب من مصر. وحين بعثه الله تعالى لدعوة الفراعنة قال:

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أن يَقتُلُونِ﴾[1].

وحينما ذكَّره فرعون بالقتل أجاب موسى:

﴿فَعَلتُها إذاً وَأنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[2].

فمثل هذه الحكاية كيف تتلاءم وعصمة الأنبياء قبل بعثتهم؟

---

(١) الشعراء/ ١٤.

(٢) الشعراء/ ٢٠.

والجواب:

أولاً: إنَّ قتل القبطيِّ لم يكن عمديّاً، بل كان نتيجة ضربة وجِّهت اليه فاصابت منه مقتلاً.

ثانياً: إنَّ الآية ﴿**وَلَهُم عَلَيَّ ذنب**﴾، التي وردت على لسان موسى كانت وفق نظر الفراعنة، والمراد أنهم يعتبرونني قاتلاً ومذنباً، وأخاف أن يقتلوني قصاصاً.

ثالثاً: أمّا الجملة ﴿**وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ**﴾ امّا أنه قالها مجاراة للفراعنة، بأنني ربَّما كنت ضالاً آنذاك فهداني الله، وأرسلني بهذه البراهين القاطعة. أو المراد من (الضلال) عدم المعرفة بعواقب العمل، وعلى كلٍّ حال، فلا تدلُّ على مخالفة موسى للتكليف الإلزامي الإلهيّ.

الشبهة السابعة: في الآية (٩٤) من سورة يونس قال تعالى مخاطباً النبيَّ (ص):

﴿**فإنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِمّا أنزَلْنَا إلَيكَ فسْئَلِ الذِينَ يَقرَءونَ الكِتابَ مِنْ قَبلِكَ لَقَد جَاءَكَ الحقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ**﴾.

وفي الآيات (١٤٧) من سورة البقرة، و(٦٠) من آل عمران، و(١١٤) من الانعام و(١٧) من هود و(٢٣) من سورة السجدة، ينهى فيها الله تعالى نبيَّه (ص) عن الشكِّ والترديد، فكيف يمكن القول بأنَّ إدراك الوحي لا يقبل الشكَّ والتردد؟

والجواب عن هذه الشبهة: إنَّ هذه الآيات لا تدلُّ على وقوع الشكِّ والترديد فعلاً للنبيِّ (ص)، بل إنَّها في صدد التأكيد على هذه الملاحظة بأنَّه لا مجال للشكِّ والترديد في رسالته، وإنَّ محتويات القرآن الكريم على حقٍّ، وفي الواقع ان مثل هذا الخطاب من باب (اياكِ اعني واسمعي يا جارة).

الشبهة الثامنة: نُسبت في القرآن الكريم بعض الذنوب للنبي (ص) وقد غفرها الله له، يقول القرآن الكريم:

لِيغفِرَ لَكَ الله ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1].

والجواب: إن المراد من الذنب في هذه الآية الشريفة؛ الذنب الذي وجّهه المشركون للنبيِّ (ص) قبل الهجرة وبعدها، وهو إهانته لأصنامهم وآلهتهم،والمراد من المغفرة، مواجهة الآثار التي يمكن ترتُّبها على ذلك وإزالتها، والشاهد على هذا التفسير، إنّه اعتبر فتح مكة سبباً لمغفرته حيث يقول:

﴿إنّا فَتحنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأخَّر﴾.

وإذا كان المراد من الذنب المعنى المصطلح فلا وجه لتعليل المغفرة بفتح مكة.

الشبهة التاسعة: يقول القرآن الكريم حول زواج النبي (ص) بزوجة زيد بن حارثة (متبنّى النبيِّ) المطلّقة:

﴿وَتَخشَى النّاسَ وَالله أحَقُّ أنْ تَخْشَاهُ﴾[2].

فكيف يتلاءم مثل هذا القول مع العصمة.

والجواب: إن مثل هذا العمل الّذي صدر بأمر الله، ومن أجل القضاء على تقليد من التقاليد الجاهليَّة المنحرفة (حيث كان يعتبر المتبنّى كالابن من النسب) كان يخشى النبيُّ (ص) أن يحمله الناس ـ لضعف إيمانهم ـ على ميوله ورغباته الشخصيَّة، وان يؤدِّي ذلك الى ارتدادهم عن الدين، وقد أطلعه الله تعالى في هذه الآية الشريفة على أنَّ المصلحة في مكافحة هذا التقليد المنحرف أكثر اهميَّة، والأجدر به أن يكون أكثر خشية وخوفاً من مخالفة الإرادة الإلهيَّة القائمة على مكافحة نبيِّه عمليّاً لهذا التقليد الخاطىء، اذن فهذه الآية ليست في مجال تأنيب النبيِّ (ص) وذمِّه.

الشبهة العاشرة: إنَّ القرآن الكريم يعاتب النبيَّ (ص) في مواضع

---

(١) الفتح / ٢

(٢) الاحزاب / ٣٧

عديدة، منها: حين أذن النبي (ص) لبعض الافراد بترك القتال حيث يقول تعالى:

﴿عَفَا الله عَنكَ لِمَ أذِنتَ لَهُم﴾[1].

ومنها: تحريم بعض الأمور المحلَّلة إرضاء لبعض زوجاته:

﴿يَا أيُّها النَّبيُّ لِمَ تحرِّمُ ما أحلَّ الله لَكَ تَبتَغِي مَرضَاةَ أزوَاجِكَ﴾[2].

فكيف ينسجم هذا العتاب مع عصمته؟

والجواب: إنَّ مثل هذا الخطاب في واقعه (مدح باسلوب العتاب) حيث يدلُّ على مدى ما كان يملكه النبي (ص) من شفقة وحنان حتى على المنافقين ومرضى القلوب، حيث لم يبعث اليأس فيهم، ولم يكشف عن أسرارهم، وأيضاً حين يقدِّم مرضاة زوجاته على رغباته وميوله، ويحرِّم باليمين عملاً مباحاً في حقِّه، وهذا لا يعني، (والعياذ بالله) أنَّه يحاول تغيير حكم الله، وتحريم الحلال على الناس.

وفي الواقع انَّ هذه الآيات من ناحية ما نظير الآيات التي تشير الى جهود النبيِّ (ص) الكبيرة واهتمامه البالغ وحرصه وتحرُّقه الشديد لهداية الكفار، أمثال قوله تعالى:

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفسَكَ ألاّ يَكُونُوا مُؤمِنِينَ﴾[3].

او الآيات التي تدل على ما يبذله من جهد ومشقَّه في سبيل عبادة الله مثل:

﴿طه * ما أنزَلْنَا عَلَيكَ القُرآن لِتَشقَى﴾[4].

وعلى كلٍّ حال، فلا تنافي هذه الآيات عصمته (ص).

---

(١) التوبة/ ٤٣.
(٢) التحريم/١.
(٣) الشعراء/٣.
(٤) طه/١ ـ ٢.

الأسئلة:

١ ـ ما هي الميزة الاختياريَّة للمعصوم على الآخرين؟ وأيّ ثواب يستحقُّه العمل المستند للعصمة الإلهيَّة؟

٢ ـ لماذا كان الأنبياء وأولياء الله يعتبرون أنفسهم مذنبين، ويمارسون التضرُّع والاستغفار؟

٣ ـ كيف تتلاءم تأثيرات الشيطان في الأنبياء (ع) مع عصمتهم؟

٤ ـ كيف يتلاءم العصيان والنسيان الذي نُسب في القرآن الكريم لآدم (ع) مع عصمته؟

٥ ـ اذا كان الأنبياء جميعهم معصومين فلماذا ـ اذن ـ صدر الكذب من ابراهيم ويوسف (ع)؟

ـ ما هي الشبهة التي طُرحت حول موسى (ع)؟ اذكرها مع الجواب عنها.

ـ اذا كان إدراك الوحي لا يحتمل الخطأ والاشتباه، فلماذا ـ إذن ـ نهى الله تعالى النبيَّ (ص) عن الشكِّ والترديد؟

٨ ـ كيف تتلاءم نسبة الذنب لنبيِّ الإسلام (ص) في سورة الفتح مع عصمته؟

٩ ـ اذكر الشبهة المتعلِّقة بحكاية زيد والجواب عنها.

١٠ ـ ما هي الشبهة المتعلِّقة بعتاب النبي (ص)؟ اذكرها واذكر الجواب عنها.